

أضواء البيان

@ 177 لك حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا { ، وفي سورة (يونس) في الكلام على قوله تعالى : { إِنَّ السَّاعِدِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ } الآية (01 / 69) ، وفي غير ذلك . { وَلَا يَسْتَخِفُّنَاكَ السَّاعِدِينَ لَا يُوقِنُونَ } . قد قدمنا في سورة (بني إسرائيل) ، في الكلام على قوله تعالى : { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا } ، أن اللَّه تعالى قد بيَّن في بعض الآيات القرآنية أنه يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب لا يريد به نفس رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ، وإنما يريد به التشريع . .

وبيَّننا أن من أصرح الآيات في ذلك قوله تعالى مخاطبًا له صلى الله عليه وسلم : { إِمَّا يَبْدُئُ الْغَنَاءَ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَوْ حَدِّثُ الْمُؤْمِنِينَ كَلَامًا فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أَوْفٍ } ، ومعلوم أن والديه قد ماتا قبل نزول : { إِمَّا يَبْدُئُ الْغَنَاءَ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَوْ حَدِّثُ الْمُؤْمِنِينَ كَلَامًا } ، بزمان طويل ، فلا وجه البتة لاشتراط بلوغهما ، أو بلوغ أحدهما الكبير عنده ، بل المراد تشريع برِّ الوالدين لأُمَّته ، بخطابه صلى الله عليه وسلم .

واعلم أن قول من يقول : إن الخطاب في قوله : { إِمَّا يَبْدُئُ الْغَنَاءَ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَوْ حَدِّثُ الْمُؤْمِنِينَ كَلَامًا } ، لمن يصح خطابه من المكلفين ، وأنه كقول طرفة بن العبد : واعلم أن قول من يقول : إن الخطاب في قوله : { إِمَّا يَبْدُئُ الْغَنَاءَ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَوْ حَدِّثُ الْمُؤْمِنِينَ كَلَامًا } ، لمن يصح خطابه من المكلفين ، وأنه كقول طرفة بن العبد : % (ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً & ; .

خلاف الصواب . .

والدليل على ذلك قوله بعد ذكر المعطوفات ، على قوله : { فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أَوْفٍ } ، { ذَالِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ } ، ومعلوم أن قوله : { ذَالِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ } خطاب له صلى الله عليه وسلم ، كما ترى . وذكرنا بعض الشواهد العربية على خطاب الإنسان ، مع أن المراد بالخطاب في الحقيقة غيره .

وبهذا تعلم أن مثل قوله تعالى : { وَلَا يَسْتَخِفُّنَاكَ السَّاعِدِينَ لَا يُوقِنُونَ } ، وقوله : { لَتَنِينَ أَشْرَكَتَ لَيْحًا حَبِطَانٌ عَمَلُكَ } ، وقوله : { وَلَا تُطِيعُوا مِنْهُمْ عِثْرًا أَوْ كَفُّورًا } ، وقوله : { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا

ءاخَرَ { ، يراد به التشريع لأُمَّتِه